

SJPS

The Saudi Journal of Philosophical Studies

المجلة السعودية للدراسات الفلسفية

العدد الأول ◆ تصدر عن دار معنى للنشر والتوزيع ◆ مارس 2021

معنى



كورنل ويست والغزو الأمريكي للفلسفة

محمد محمد مدين

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب - جامعة القاهرة.

Cornel West and the American invasion of philosophy

Mohamed Mohamed Madian

Professor of Philosophy - Faculty of Arts -
Cairo University

Abstract

In this study we deal with one of the most prominent left-wing African American thinkers, who is the philosopher, writer, critic, actor, and singer "Cornel Ronald West," the author of the "American invasion of philosophy" and described by his professor, "Richard Rorty," as a "patriotic" and "religious" thinker. And romantic.

The study presents three levels that we see expressing his philosophy:

First: prophetic pragmatism.

Second: The philosopher's concept of democracy.

Third: the problem of racial discrimination, "black nihilism," and the recent development of his philosophy.

Keywords: Pragmatism - Theology - Democracy - Racial Discrimination - Nihilism.

ملخص

نتناول في هذه الدراسة واحداً من أهم الفكرين الأمريكيين الأفارقة اليساريين المرموقين، وهو الفيلسوف والأديب والناقد والممثل والمغني «كورنل رونالد ويست» Cornel Ronald West صاحب «الغزو الأمريكي للفلسفة» والذي وصفه أستاذه «ريتشارد رورتي» Richard Rorty بأنه مفكّر «وطني» و«متدين» و«رومانسي».

وتعرض الدراسة ثلاثة محاور نراها معيّنة عن فلسفته وهي:

أولاً: البراجماتية الرسولية.

ثانياً: مفهوم الفيلسوف للديمقراطية.

ثالثاً: مشكلة التمييز العنصري و«العدمية السوداء» والتطور الأخير الذي طرأ على فلسفته.

الكلمات الدالة

البراجماتية - اللاهوت - الديمقراطية - التمييز العنصري - العدمية.

بالمجال «الرسولي» ويؤكد على أن الأصل «الرسولي» يفترض معيارين أخلاقيين أساسيين وهما:

-الفردية individuality.

-الديمقراطية Democracy⁽⁴⁾.

ويعتبرهما محور التفكير «الأمريكي الإفريقي»؛ فالفردية، فيما يؤكد ويست هي محور (الإنجيل المسيحي)، وتُلخ على أنه ينبغي على كل فرد أن يتمتع بالفرصة التي تمكّنه من تحقيق وتجسيد كل إمكانياته. ويُشير ويست إلى أن القهر «الأمريكي الإفريقي» قد أثر على شخصيته كما أثر على نظريته إلى الفلسفة والدور الذي ينبغي أن تنهض به. أعني «باعتبارها فاعلية اجتماعية للشغي العقلي، عن طريقها يتم توجيه وتناول الهموم النفاية والقضايا السياسية»⁽⁵⁾.

ويعترف كورنل ويست بأن وعية السياسي قد تشكّل ونشط بفعل النقد الماركسي الذي مارسه «حزب العهد الأسود للدفاع عن الذات» Black panther party for self defence. وما هو جدير بالذكر أن كلمة «الدفاع عن الذات» قد حُذفت فيما بعد من اسم الحزب⁽⁶⁾. وتأثر ويست بدراسته للماركسية الهيكلية التي قدّمها له «جورج لوكاش» George Lukas، ومدرسة فرانكفورت «وخاصةً لدى ماكس هوركهايمر، وتيودور أدورنو، وفالتر بنيامين، وهربرت ماركيزو»، Max Horkheimer, Theodor Adorno, Walter Benjamin, Herbert Marcuse, Sidney Hook, Ernest Block وتأثر أيضًا بالفيلسوف «أرنست بلك» و«سيدني هوك» في مرحلته المبكرة، و«فريدريك جاميسون»، و«ستانلي آرونوفيتش»، Fredric Jameson, Stanley Aronowitz بالإضافة إلى التزامه بما وصفه بأنه «التحليل الاجتماعي الماركسي النقدي» و«البراكسيس السياسي»⁽⁷⁾ Political praxis فهو على قناعة بأن «المسيحية، مرتبطة بالذهب الماركسي، تُعدّ سلاحًا قويًا وفعالًا في مواجهة قُوَى القهر والاستعباد»، ولذلك فإن ويست في معظم كتاباته وحواراته يخثّ الناس على «استخدام عقولهم لتحسين حياتهم ومجتمعاتهم»⁽⁸⁾. كما أنه يُعدّ رائدًا للاشتراكيين الديمقراطيين في أمريكا؛ فقد شغل منصب الرئيس الشرفي لجماعة «اشتراكيو أمريكا الديمقراطيين» Democratic Socialists of America وهي الجماعة التي وصفها بأنها «المنظمة الاشتراكية الأولى التي تُؤكّد على تعدّد العنصر»، وهي «المنظمة التي تُعدّ، وعلى نحو تام، الأقرب إلى وجهة نظري السياسية والتي بإمكانها الانضمام إليها»، وكذلك نراه يصف نفسه بأنه «ديمقراطي أصيل»⁽⁹⁾.

(4) West, *Prophetic Reflections Notes on Race and power in America*. 1993 p. ii, p. viii.

(5) West, *Prophesy Deliverance, An Afro-American Revolutionary Christianity*, [Philadelphia, Westminster 1982], p. 16

(6) Yancy, Geogre. *Cornel West: A Critical Reader* [Ed, Blackwell Publishers LTD 2001], p. 7, 300.

(7) West, *prophesy Deliverance*, p.12

(8) West, *Ibid*, p.12.

(9) West, *Ibid*, p.12

«تحتاج أمريكا اليوم إلى مواطنين يعشقونها بما يكفي لإعادة تخيلها وإعادة بنائها من جديد...»

كورنل ويست

مقدمة

قبل تناولنا لمحاوَر الدراسة يَلزَم، في البداية، التعريف بالفيلسوف؛ فقد وُلِد «ويست» في الثاني من يونيو عام 1953 في «تولسا» Tulsa، أوكلاهوما Oklahoma، وقد انخرط في شبابه في جماعات الحقوق المدنية وطالب بأن يُوجد في مدرسته العليا مقررات يكون موضوعها دراسات تتعلّق بالشود. وقد كتب «ويست» أنه كان في فترة الشباب معجبًا بالروح القتالية المخلصة السوداء التي كان يتمتع بها «مالكوم» Malcom X، كما أُعجِب باللاهوتي الأسود «جيمس كون» James Cone.

وقد صمّم كورنل «ويست» عند التحاقه بهارفارد في السادسة عشرة من عمره على دفع الجامعة وتقاليد العرقية لخدمة أجندته السياسية ولم يدعها تفرض هي أجندتها التعليمية عليه: «بفضل عائلي وكنيستي والحركات الاجتماعية السوداء في الستينيات، فقد وصلْتُ إلى هارفارد غير شاعرٍ بخجلٍ من تصوراتي الإفريقية والمسيحية وأيضًا التحرر الجريء من العبودية. فقد أعلنتُ وأكذتُ على قوة أساليب السود وطُرقي ووجهات نظري والقيم المسيحية التي تستهدف مدّ يد العون للمحتاجين والمفهورين والحب والتواضع والنضال وإحساسي المناهض للاستعباد والذي يعني حقّ تقرير المصير للشعوب والأمم المُستعبدة والمفهورة في العالم»⁽¹⁾.

وقد أُنذ والداه على هذه السّمات في شخصية «ويست»؛ فباعته عضوًا في الكنيسة وفي هذه الجماعة المدنية والثقافية، قد أظهر اعتقاداتٍ قويةً تتعلق بما ينبغي أن تقوم به الكنيسة والمجتمع في القضاء على الأمراض الاجتماعية التي يُعاني منها مجتمعنا. فقد كان عنيذًا للغاية، ولم يضعف قطّ خلال شبابه في الاعتراف بهذه القضايا والمشكلات⁽²⁾. ويؤكد «كورنل ويست» هذا المعنى بقوله: «لقد استهدفتُ دومًا أن أكون ذاتي، وكنت أعلم بالطبع أن هذه مهمة متصلة ومستمرة بلا توقّف»⁽³⁾.

فقد أُنذ «كورنل ويست» على أن التربية التي تلقّاها عن عائلته المسيحية والتعاليم التي تلقّاها عن الكنيسة، تفسّران التزامه بالإنجيل المسيحي الرسولي. ويُشير إلى أن «التقليد الأمريكي الإفريقي يتميز بتعدّد وتنوّع التفكير اللاهوتي الذي يستوعب كلًّا من التيار «الرسولي» والتيار «الكهنوتي»؛ ولكنّه يُولي اهتمامًا مُليحًا

(1) West, Cornel. *Prophetic Reflections, Notes on Race and Class in America*, vol.2 (Monroe, 1993) p. viii.

(2) West, Cornel. *West Reader* [Basic Civitas Books, 1999], p. 19-20.

(3) Yancy, George. *Ibid* p. 21

مراحل التكوين

ويُفسّر كورنل ويست هذه السمة المميزة للفلسفة كما قدّمها «رورتي» في سياق تحول «ريتشارد رورتي» إلى «ضد الواقعية» Anti-Realism بقوله: «إنّ النتيجة ليست صورة من صور العالمية... وإنما النتيجة، بالأحرى، هي صورة من صور البراجماتية وذلك لأنّ الدعوى هنا هي أن الأوصاف المتطورة والعروض المتغيرة دومًا للموضوعات والأشياء والعالم تُنتج عن مجتمعات متنوّعة ومختلفة باعتبارها استجابات لمشكلات معينة، وباعتبارها محاولات للتغلب على مواقف بعينها وباعتبارها وسائل لإشباع حاجات ومصالح واهتمامات عينية خاصة. ويمكننا التعبير عن هذه الفكرة على نحو بسيط بقولنا؛ إن الأفكار والكلمات واللغة ليست مرآيا تعكس صورةً للواقع «الحقيقي» أو الموضوعي، إنما هي بالأحرى أدوات tools بها تُكافح وتواجه عالمنا (6)our».

وقد فسّر كورنل ويست هذه الفكرة في سبغيه لصياغة تفكيرٍ نقديٍّ أمريكيٍّ يكون أداةً فعّالةً للتعامل مع آلم ومعاناة «الشود» فإذ يؤكد على أن «الفلسفة جنسٌ من الكتابة، نمطٌ من الخطاب الذي يُفسّر ويصِف ويُقيم الحياة الأمريكية الإفريقية، لكي تُفهم على نحوٍ شاملٍ وكُلّيٍّ هذا من ناحية، وتغيرها على نحوٍ مؤثر وفعال وهذا من ناحيةٍ أخرى... فالفلسفة تستهدفُ جَعْلَ اللغة ذاتها قوةً ماديةً للحرية الأمريكية الإفريقية(7)».

ويؤثر كورنل ويست في هذا السياق، قضية «دور النخبة المثقفة»، ومنهم بالطبع الفلاسفة، فهو يرى «أن ثقافة التكنوقراط المستمدة من آليات السوق قد سيطرت على الحياة الأكاديمية وأحاطت بها، ومن ثمّ انجرفت بها إلى قنوات أكاديمية ضيقة، كما أنها حوّلتها إلى مراكز «بزنس» لها أسبقية على المسئولية الرئيسية التي تستهدف تنشئة العقول الشابة(8)». ولذلك يركز كورنل ويست في حواراته ولقاءاته على محاولة الوصول إلى قطاعٍ عريضٍ من المستمعين والمهتمين بالحياة الأكاديمية مستهدفًا تشجيع «الالتزام المدني» civil engagement، وخاصةً بين الشباب، على أمل إحياء «الالتزام الديمقراطي العميق والأصيل الذي يُمكنه مواجهة العدمية السياسية المفترسة» encroaching political nihilism التي تمثّل تهديدًا صارخًا لمستقبل الديمقراطية الأمريكية(9).

فقد كان كورنل ويست حريصًا على المشاركة في الأنشطة العامة والجماعية، فقد أعلن معارضته للحرب على العراق، كما ظهر في معركته مع «لورانس سمرز» Lawrence Summers رئيس هارفارد في 2000 الذي وجّه لومًا شديدًا إلى ويست لاهتمامه بالشأن العام مما دَفَع ويست بذوره إلى اتهامه بأنه «آرئيل شارون التعليم العالي الأمريكي» Ariel Sharon of American higher education، وهو الوصف الذي أدّى إلى اتهام ويست

وقد قِيلَ ويست في جامعة هارفارد، وهو في السادسة عشرة من عمره، حيث نال درجة الليسانس، ثم انتقل إلى جامعة «برنستون» حيث نال درجة الماجستير 1973، ثم الدكتوراه 1980. وعندما كان طالبًا في «برنستون» تعرّف إلى «ريتشارد رورتي» Richard Rorty الذي أشرف على بحثه في الدكتوراه. ويحكي ويست عن تجربته في «برنستون» وكيف انتابته الفلق والخوف من أن يحاول فلاسفتها التقليل من شأن إيمانه المسيحي، وأن يحاولوا القضاء على حماسه وانجذابه نحو «فثجنشتين» Wittgenstein، وأن ينظروا نظرة ازدراءٍ لانجذابه لدرسة فرانكفورت للماركسية الجديدة، ولكن، وخلافًا لكل توقّعاته ومخاوفه، وجد أن أساتذته ليس لديهم اهتمامٌ بالدين، وهو ما أتاح له الإبقاء على حُبّه لكيركجارد وللصوفي الأمريكي «هوارد تورمان» Howard Thrumen(1).

وقد أعدّ ويست رسالته في الدكتوراه تحت إشراف «ريتشارد رورتي» الذي تبنّى منحىً تاريخيًا براجماتيًا، وهو المنحى الذي دَعَم التزام ويست وتبنيه لموقف «فثجنشتين» المناهض للأصولية، وشجّعهُ «شيلدون ولين» Sheldon Wolin على التعمّق في التراث الماركسي الهيجلي، وقد بدأ ويست ببحثٍ عن الفيلسوف الإنجليزي «توماس هيل جرين» Thomas Hill Green الذي كان يُمثّل النزعة «المثالية الهيجيلية الجديدة» ثمّ عرّج إلى بحثٍ عن «أحد المظاهر الأرسطية للفكر الماركسي» ثم انتهى إلى بحثٍ يستهدف الكشف عن «الالتزامات الأخلاقية لدى ماركس». وقد أُكِّدَ ويست على فكرة أن «تناول ماركس للوعي التاريخي ونقد الرأسمالية كان مدفوعًا بقيم أخلاقيةٍ وخاصةً في هجومه على أخلاق العقل(2)». وقد كان عنوان رسالته «الأخلاق والنزعة التاريخية وللذهب الماركسي» Ethics, Historicism and the Marxist Tradition وقد قام كورنل ويست فيما بعد بمراجعتها وطبّعها بعنوان «الأبعاد الأخلاقية للفكر الماركسي» Ethical Dimensions of Marxist thought, 1991 وبرغم هذا الاهتمام الكبير، من جانب ويست بالفكر الماركسي، فهو، يؤكد على أنه «ليس اشتراكيًا ماركسيًا(3)».

ولم يتوقف تأثير «رورتي» على ويست خلال إعداده لرسالته وإنّما تعدّاه لما بعد ذلك، فقد أثر عمل «رورتي» في البراجماتية الأمريكية على ويست إلى حدّ أن تصوّره للبراجماتية الرسولية Prophetic Pragmatism يعكس تأثيرًا متميزًا لرورتي(4)، وعلى وجه الخصوص تأثّر ويست بتصوّر «رورتي» للفلسفة باعتبارها نوعًا من الكتابة يُقابل العلم في بحثه عن اليقين، أو باعتبارها مشروعًا محكومًا بمبادئ ترنسندننتالية متعالية(5).

(1) West, Cornel, *The Ethical Dimensions of Marxist Thought* [N.Y.Monthly Review Press, 1991], p. xix.

(2) West, Ibid p.xix; West, *Reader* p. 9-10.

(3) West, *The Ethical Dimensions of Marxist thought*, p. xxvii.

(4) West, *Prophesy Deliverance*, p.149.

(5) West, Ibid

(6) West, *The American Evasion of Philosophy, A Genealogy of Pragmatism*, p201

(7) West, *Prophesy Deliverance*, p.15

(8) West, Ibid.

(9) West, Ibid.

المجتمع والقضاء عليها، وهذا الفهم الصحيح يُعدُّ ضروريًا لاستنارة «البراكسيس السياسي»⁽⁵⁾. وعلى ذلك تكون الماركسية قد زوّدت ويست بالأداة النظرية اللازمة لإرجماتيتيَّة الرسولية prophetic pragmatism⁽⁶⁾.

ويشير ويست إلى أن الاهتمام الماركسي الرئيسي كان بالعلاقات العضوية والحميمة بين «المال» من جهة و«النخبة السياسية» من جهةٍ أخرى، وهي العلاقات التي أدت إلى إيجاد خللٍ في توزيع الثروة والقوة... وتُفسِّر قوة النخبة السياسية السبب في أن الفقراء والقوى العاملة لا يكون نصيبها من الدخل القومي إلا التزُّر اليسير ومن ثم يُؤكِّد ويست على أننا لو لم ننتبه إلى هذه العلاقة العضوية والحميمة بين «المال» و«السلطة» فسوف نفتقد الأدوات التحليلية اللازمة في «النضال من أجل الحرية»، وبهذا المعنى يري ويست أن النظرية الماركسية في النقد تُعدُّ «تقليدًا ضروريًا ولا غنى عنه» لكل المناضلين من أجل الحرية⁽⁷⁾.

يتبقَّى، قبل عرض المحاور الثلاثة المشار إليها، أن نبيِّن ما الذي يُغنيه ويست بالمرادغة الأمريكية للفلسفة، فويست يعتقد أن التمييز بين «الواقع» reality و«المظهر» appearance، وهو التمييز الذي نجده عند معظم الفلاسفة ابتداءً من أفلاطون حتى «برادلي» Bradley، هو تمييزٌ أُخرق وغير ملائم، كما أنه أداة تحليليَّة مُضَلَّلَةٌ، فهو تمييزٌ ينبغي أن يأخذ مكانه التمييز بين أوصاف هؤلاء «المضطهدون» oppressors ما يحدث وذلك من جهة، وأوصاف هؤلاء المضطهدين oppressed وذلك من جهةٍ أخرى. فللمضطهدين والعذبين أهدافٌ وحاجاتٌ مختلفة عن أهداف وحاجات «المضطهدون» oppressors، ولكن ليس لديهم رؤية أعمق للواقع؛ فكل ما يسعون إليه هو مجرد «إزالة الآلام» و«تغيير الأشياء للأفضل»⁽⁸⁾.

فإن نفهم الأشياء كما هي في الحقيقة ليس ضروريًا لتحقيق هذا الغرض. فإن الخلل لدى «المضطهدون» oppressors يتلخَّص في أنهم يتسبَّبون في إحداث آلامٍ لا مبرر لها ولا ضرورة تدفع إليها، وليس في أنهم يُذركون الأشياء على نحو خاطئ، ومن ثمَّ فإن كل ما يمكن أن يقدمه «الثقَّفون» للمضطهدين يتلخص في مساعدة هؤلاء في عملية «صياغة» أهدافهم وتحديد «حاجاتهم» ومطالبهم على نحو يقطع الصلة باللغة القديمة، وهي اللغة التي صمَّتها «المضطهدون» على نحو يُلبِّي حاجاتهم ويخدم أغراضهم بينما ستكون اللغة الجديدة أداة أكثر نفعًا وفعاليةً في عملية تغيير الأشياء بحيث تؤدي إلى إزالة الآلام أو على الأقل الحد منها⁽⁹⁾.

والمرادغة الأمريكية للفلسفة تُمَثِّلُ، بالإضافة إلى ذلك، تحوُّلاً عن التوجُّه الذاتي الذي يُمَيِّز الفلسفة الأوربانية، أعني التحوُّل عن «فكرة أن المعرفة تستلزم أسئلاً فلسفيةً في الوعي الذاتي وذلك من

بمعادة السامية، وهو الاتهام الذي تردَّد من نيويورك حتى تل أبيب بالرغم من إعلان ويست في 2002 مع صديقه الحاخام مايكل ليرنر Michael Leaner عصيانيًا مدنيًا من أجل التضامن مع آلام الفلسطينيين والإسرائيليين، وعلَّل ويست هذا بأنه «ينبغي علينا أن نكون قريبين ومتفاعلين مع إنسانية الجانبين»؛ ولكنه عاد في 2007 وشارك في مظاهرة ضد «مظاهر الظلم والقهر التي يواجهها الشعب الفلسطيني من جرَّاء العدوان الإسرائيلي»، ولقَّت الأُنظار إلى أربعين عامًا من انتهاك العدالة وما أطلق عليه «مهزلة العدالة». وفي 2008 أعلن تأييده لأوباما ومع ذلك لم يمتنع ذلك من انتقاد حصوله على جائزة نوبل في 2009 وعقَّب على ذلك بقوله «إنه من الصعب أن يكون أوباما أمير حرب مثيخًا بجائزة نوبل للسلام»⁽¹⁾ «Hard to be war president with peace prize».

ولذلك يُفكِّنا القول إنه في الوقت الذي لم ينكر ويست أهمية الالتزام الأكاديمي بالمعنى الاصطلاحي، إلا أنه يُعارض وجهة النظر التي ترى ضرورة أن تسجن الأكاديمية نفسها في إطار الاهتمامات الضيقة، فللحياة الأكاديمية والأكاديميين دورًا مهمًّا ولا غنى عنه، وهو الالتزام بتعزيز الخطاب العام والجمهوري وهو ما لا يمكن النهوض به إذا توقَّع الأكاديميون في أبراجهم العاجية بدلًا من انخراطهم في هموم مجتمعهم ومشاكله الضاغطة التي تأخذ بخناق الناس⁽²⁾.

وإذا كان تأثير «ريتشارد رورتي» على كورنل ويست ينعكس بوضوح على منهج ويست فإن تفكير كلٍّ من «هيجل» و«ماركس» هو الذي يُؤلِّف الخلفية الفلسفية لفكر ويست. فقد أعجبت بفكرة هيجل عن «الكفاح والنضال» struggle واستهداف الحرية بمساندة الخطاب العقلاني؛ فقد رأى ويست في أفكار «هيجل» ما هو أكثر من مجرد «بناء ميتافيزيقي»؛ فالتحرر قبل الأخير هو التحسن للتطور والتنامي للإنسانية، وهو تدعيم للسعي غير المضمون وغير اليقيني للحرية الإنسانية عبر التاريخ⁽³⁾.

وقد زوَّد «ماركس» فلسفة ويست بنموذجٍ يُفكِّنه به «نقد المجتمع الأمريكي» كما أن ويست تبيَّن وجود مستوى معيَّن من التوافق بين «التقليد الماركسي النقدي» من جهة و«اللاهوت الأسود» من جهةٍ أخرى؛ فهو يقول: «إن التحدي الذي يواجه اللاهوتيين السود يتمثل في طرح فهمٍ للكتاب المقدَّس المسيحي على ضوء الظروف الحالية، وهو فهمٌ ينبغي أن يصَّغ في اعتباره الشُّبُل المعقَّدة التي تتكامل فيها كل من النزعة العنصرية والنزعة الجنسية sexism؛ لخدمة الاستغلال الطبقي الخاص بنظام الإنتاج الرأسمالي»⁽⁴⁾. فالنظرية الاجتماعية الماركسية في صميمها «نقد» للنظريات القاصرة التي تُفسِّر المجتمع الرأسمالي، فبالنسبة لماركس، فيما يقول ويست أن الفهم الصحيح للمجتمع الرأسمالي يكون ممكنًا فقط عن طريق «تعرية» مظاهر التعمية الموجودة في هذا

(5) West, Ibid, p. 10.

(6) سيرد توضيح معني هذا للمصطلح في المحور الأول من الدراسة.

(7) West, *Prophetic Reflections*, p. 59.

(8) West, *Prophesy Deliverance*, p.20; West, *Evasion*, p. 3-9.

(9) West, Ibid, Rorty, Ibid.

(1) West, *Democracy Matters* (New York, Penguin Press, 2004), p. 189, 197-200.

(2) West, Ibid.

(3) West, *prophesy Deliverance*, p. 15.

(4) West, Ibid, p. 106.

برؤية دافعة لليوتوبيا ثم يُعيد تدفُّقه في قنوات جديدة خلال تصور ديوي للديمقراطية الخلافة وتحليل «دوبواس» البنائي لحدود الديمقراطية الرأسمالية. بالإضافة إلى أن هذا النوع الجديد من النقد السياسي الذي يُمكننا أن نُطلق عليه اسم «البراجماتية الرسولية» عليه مواجهة المعنى التراجيدي الموجود لدى «سدي هوك» ورؤية «وليم جيمس» الدينية كما ظهرت في صورة حية لدى «نيبور» Niebuhr وصرع «ميلز» Mills مع «النداء العقلي». فالبراجماتية الرسولية بجذورها في التراث الأمريكي وآمالها للمعدين في الأرض تقدم أفضل فرصة لتعزيز الثقافة «الإمرسونية» الخاصة بالديمقراطية الخلافة وذلك عن طريق الذكاء النقدي من جهة والفعل الاجتماعي من جهةٍ أخرى⁽³⁾.

فالبراجماتية الرسولية تُؤكِّد فيما يقول ويست على ما نجدُه لدى رينهولد نيبور Reinhold Niebuhr من مزاج فَعَال وموْتَر، وأُعي به «عدم فقدان الإيمان بالإمكانات الجديدة للإنسان... ومع ذلك فإن هذه البراجماتية الرسولية تؤسس هذه الإمكانيات على ضوء التحليل البنائي لدى «دوبواس» Du Bois، وهو التحليل الذي يركز على الطبقة العاملة وعلى التمرد «الأسود» و«النسوي».. فالبراجماتية الرسولية تقوي دافعها اليوتوبي بالإحساس التراجيدي للحياة والتاريخ. وهذا الإحساس للأسوي يُلقِي الضوء على المآزق الصعب الخاص بأفراد متفردين متميزين يعانون الجزع واليأس والمرض والموت بالإضافة إلى الصور المنظمة للفهر التي تسلب إنسانية الإنسان... فالبراجماتية الرسولية صورة من صور «التفكير التراجيدي» من حيث مواجهتها الخبرات الفردية والجمعية للشخص في الأفراد والمؤسسات، مع توقُّع ضئيل وأمل محدود في التخلص من كل الشرور. ومع ذلك فهي نوعٌ من الرومانسية من حيث أنَّها تنظر إلى كثيرٍ من خبرات الشر على أنَّها «ليست حتمية» و«ليست ضرورية» وإنما هي بالأحرى «نتاج للعامل البشري» أعني «نتيجة للاختيارات والأفعال»⁽⁴⁾.

ويصف ويست برجماتيته بالرسولية لأنها تُذكِّر بالرسول اليهودي والمسيحيين «الذين مارسوا نقدًا ضاعطًا وضروريًا وحماسيًا ضد الشرور التي كانت موجودة أيامهم. فإن أمانة الرسول أن يُلقِي حكْمته الصادقة في حبٍّ وشجاعة»⁽⁵⁾. ومن هذا التراث اشتلَّهَم ويست هذا التعريف، ويوضِّح ذلك بقوله: «إن تصوُّري لما هو «رسولي» Prophetic هو تصوُّر ديمقراطيٍّ من حيث أن المرء في خصم النضال المضطرب والذي تكون فيه الأيدي ملطَّخةً بالطين يركن إلى القناعات الأخلاقية ويحاول، بدون كلل، إقناع الآخرين بضرورة الاقتناع بها حتى لو كانت هذه القناعات الأخلاقية لا تزال موضوعًا للنقد وتغزُّر الرؤية»⁽⁶⁾.

فالتفكير «الرسولي» يستهدف وضع حياتك على المحك «مع يقين بأن هناك اعتقادًا بأنك سوف تفعل الصواب بغض النظر عن

خلال الحدس والرؤية المباشرة»، ومن ثمَّ يؤكد ويست على أن هذه المراوغة تتأسس على ثلاثة مبادئ هي:

1. أن المعرفة الصادقة هي نتيجة للبحث الاجتماعي الذي يتَّسم «بالبين ذاتية» inter-subjectivity.
2. رفض التصوُّر الضيق والمحدود للخبرة Experience، أعني رفض «الخبرة الذاتية بالمفهوم الديكارتي»، فالخبرة هنا يُنظر إليها على أنها «الأعمق مضمونًا»، و«الأوسع مدًى».
3. أن الهدف النهائي للمعرفة هو «التعرُّف» على المعايير العينية في مجتمعٍ بعينه، مع نظرة مستقبلية تستهدف تحقيق إمكانيات مستهدفة؛ فالفكر يُنظر إليه هنا على أنه أداةً للتحشُّن والتغيير⁽¹⁾.

فإن نتخلى عن السؤال الميتافيزيقي الخاص بما هو حقيقيٌّ على الأصالة، وأن نتخلى عن السؤال المعرفي الخاص بكيف يمكننا أن نميز بين ما هو «يقيني» وما هو «ظني» إنما يُلخِّص ما أُطلق عليه ويست «المراوغة الأمريكية للفلسفة».

المحور الأول: البراجماتية الرسولية

يُقدم ويست في كتابه American Evasion of Pragmatism (1989) «المراوغة الأمريكية للفلسفة: جينولوجيا البراجماتية»، مصطلحًا جديدًا على الفكر البراجماتي، وهو مصطلح «البراجماتية الرسولية» Prophetic pragmatism والتي تصوِّرها على أنَّها منهجٌ سياسي صريح للنقد الثقافي، وهو منهجٌ يتوجَّه بالخطاب إلى الأزمات الثقافية والسياسية للمجتمع الأمريكي وما رآه ويست معترًا عن أفول المدينة الأمريكية. ولكي يؤسس تصوُّره لهذه «البراجماتية الرسولية» يُقدِّم في البداية تعريفًا للبراجماتية في معناها العام، وهو يُعرِّفها في بداية كتابه بأنها: «تقليدٌ متنوعٌ الخصائص. ولكن الخاصية المشتركة التي تسود هذه الخصائص تتمثل في الأدواتية instrumentalism الموجهة للمستقبل والتي تُحاول النظر إلى الفكر على أنه سلاحٌ يدعم وعلى نحوٍ قويٍّ الفكر الفَعَال. ويتمثل دافعها الأساسي في «الجذرية العامة» أو «الراديكالية العامة» التي تُزوِّد التمرد على النظام الاستبدادي بالطاقة لتحقيق الهدف الأخلاقي الذي يُعزِّز الفردية ويُعمِّق الديمقراطية»⁽²⁾.

ويُقدِّم ويست تصوُّره لما يحتاجه هذا التقليد البراجماتي الذي يُعدُّ «التيار الفكري الأكثر تأثيرًا في الثقافة الأمريكية»، فهو يرى «أنَّه بحاجة إلى أسلوب للنقد الثقافي الذي يُجدد تصورات «والد إمرسون» Emerson في القوة والإثارة والخت والشخصية وذلك على ضوء تأكيد جون ديوي Dewey على الوعي التاريخي وتركيز «دوبواس» W.E.B. على أزمة المعديين في الأرض. وهذا الأسلوب السياسي في النقد الثقافي ينبغي أن يُحيط بإحساس «إمرسون»

(3) West, Ibid, p. 212.

(4) West, Ibid, p. 228.

(5) West, Ibid, p. 232-233.

(6) West, Prophetic Reflections, p. 67.

(1) West, Deliverance, p. 22.

(2) West, Evasion, p. 5.

يتحدّى «الأغلبية» والقيم السائدة في المجتمع، ويقوم بتعربة الحقائق والقيم التي تُؤخذ مأخذ التسليم دون نقدٍ أو مراجعة. ولا تُحاول «رسولية» كورنل وبست التنبؤ بنتيجة ما، وإنما تقوم فحسب بتحديد «الشُرور العينية» وتحاول خلق ما يكفي من الإيمان والأمل والحب لتدعيم المسؤولية الإنسانية عن الحرية وتعميق هذه الحرية وتعزيزها⁽²⁾.

فكورنل وبست يستخدم «خياله الرسولي» لتطوير «وعِيٍ بديلٍ» يُلتي مطالب مجتمعه، وهذه الرؤية البديلة تتأسس على قيم الديمقراطية والفردية باعتبارها أداة تحقيق العدل وإبراء العلاقات المحطمة. فباعتباره مفكرًا «رسوليًا» فهو يُحاول أن يُسي أسسًا لاستنهاض الأغلبية لإعادة «التفكير في أمريكا» و«التجربة الأمريكية» والنظر فيما ينبغي أن تكون عليه الأشياء.

فمن وجهة نظر كورنل وبست فإن «الأزمة» التي تواجه «أمريكا» تقتضي بالضرورة «استجابة رسولية» prophetic ونظرة سريعة إلى عناوين مؤلفاته سنكشف لنا «تشبُّث» كورنل وبست بمصطلح «الرسولي» فقد تحدّث عن «شذرات رسولية» Prophetic Fragments و«تأملات رسولية» Prophetic Reflections و«أفكار رسولية في أزمنة ما بعد الحداثة» Prophetic Thoughts in Postmodern Times وأيضًا «الخطاب الرسولي» Prophecy Deliverance ومع ذلك يُمكننا أن نقول إنّه بالرغم من أن هذا المصطلح يمثّل «قلب فكر» كورنل وبست إلا أننا لا نجد له في كتاباته تعريفًا دقيقًا محكمًا، ويوضح «ريتشارد روتي» هذه القضية بإشارته إلى أن كورنل وبست يُعاني بعض التوترات الفكرية خلال كتابه عن البراجماتية وخاصة الفصل السادس الذي جعل عنوانه : prophetic pragmatism : cultural criticism and political engagement «البراجماتية الرسولية، نقد ثقافي والتزام سياسي». والتوتر الأساسي الذي يُعاني منه يتمثّل في:

- الرغبة الصادقة في غزو الفلسفة بالمعنى الاصطلاحي.

- الأمل في وجود شيء ما بجانب الفلسفة يكون أداة فعالةً وقويةً في التغيير السياسي.

ويمكننا وصف هذا التوتر على أنّه توترٌ بين:

- البراجماتي المحترف.

- البراجماتي «الرسولي» أو «صاحب الرسالة».

أعني:

- البراجماتي باعتباره أداة فعالةً لإزالة «مخلفات الماضي».

- البراجماتي الحالم الذي يستشرف، قبل الجميع، آفاقًا عينيةً مستقبليةً أفضل.

وهذا التوتر هو الذي دفع «ريتشارد روتي» إلى توجيه النقد إلى

الناتج، كما أنك لا تتطلع إلى نصٍ قريبٍ بين عشيةٍ وضحاها». فالأسلوب النظري المستخدم من قِبَل النقاد «الرسوليين» يتلخّص في كلمة واحدة «تعربة الغموض والحيرة والارتباك والتشويش» ولكي تتحقق هذه الأهداف يضع وبست أربعة مكونات نموذجية معيارية وهي:

- المكوّن الأول: البصيرة والفطنة Discernment ويعني إمكانية تقديم إدراك تحليلي يتصف بالسعة والعمق للحاضر على ضوء الماضي.

- المكوّن الثاني: الترابط والمؤازرة والمشاركة connection والذي يُشير إلى نوع من التعاطف والمشاركة الوجدانية sympathy وهي فضيلة مفتقدة في أيامنا. فهي تستلزم أن يكون لدى المرء تعاطفٌ مع آلام الآخرين.

- المكوّن الثالث: «تتبع الرياء والنفاق» tracking hypocrisy ومواصلة هذا التتبع وعدم الاستسلام، وذلك على نحوٍ يتّسم بالنقد الذاتي دون ادّعاءٍ بأن «منظورنا هو المنظور الصحيح أو الصادق».

- المكوّن الرابع: «الأمل» hope ويُشير إلى المحاولة الشجاعة والجرينة التي تستهدف إلهام وشخص هؤلاء «العذبين في الأرض» فالأمل هو «مقاومة أعداء البشر»، وبمعنى «عدم اليأس من قدرة البشر على فعل الصواب، وإرادة فعل كل ما يُمكن للمرء القيام به لخدمة الإنسانية» و«مقاومة القوَى التي تُشوّه صورة الإله». وأن هذا هو التحدي الحقيقي الذي يُواجه كنيسة المسيح عيسى⁽¹⁾.

فالفكرون الرسوليون عليهم تزويدنا بتحليل عميق للحاضر على ضوء الماضي، ولكن هذا للمعنى التاريخي ينبغي أن يتوازن بالتواصل الحميم مع إنسانية الآخرين. وأما عندما يتعلّق الأمر بتتبع النفاق والرياء فيجب عليهم توجيه الانتباه إلى «الهوّة» التي تفصل بين «الفصاحة ومعسول الكلام» من جهة، والحقيقة والواقع من جهةٍ أُخرى.

وأخيرًا فإن عليهم «مواصلة اقتفاء أثر الأمل» فبدون «الأمل» يظل عملهم مجرد «تحليل تأملي حاذق» يفتقر إلى «الانخراط في خصم الكفاح والنضال»؛ فينبغي على هؤلاء الذين يتمشكون بالأمل الارتباط بالشجاع بفكرة أن التاريخ لم يكتمل بعد و«أن أفعالهم في هذا المستقبل المفتوح يمكن أن تصنع فرقًا واختلافًا». وعلى ضوء هذه المكونات الأربعة يرى كورنل وبست أنّ على الفكر الرسولي تقديم أدوات نقدية يمكن لغيره أن يستخدمها في نقد ما يصفه كورنل وبست بـ«العنصرية الأمريكية الزمنية» وأيضًا تسلّط الأعمال الضخمة والمتعددة الجنسيات. ومن ثم فإن المهمة «الرسولية» تضع على قائمة «الأجندة الاجتماعية» موضوعات كانت تتجاهلها من قبل، فهذه «الرسولية» صوت «الأقلية» الذي

(1) West, Ibid, p. 152; West, *Prophetic Thoughts in Postmodern Times*, Vol. I.

(2) West, *Prophecy Deliverance*, p. 6.

أجد تدعيم وجودي في كثير من القصص الموجود في الكتب المقدسة كما تم تفسيرها من قبل التراث المسيحي؛ كما أنني أرى علاقة سياسية حميمة في التركيز المسيحي على آلام المعذبين في الأرض⁽⁶⁾.

فقد قام كورنل ويست بزئط تصوّره للبراجماتية ببراجماتيين آخرين ثم قام بعد ذلك، بتفسير ما تعنيه هذه البراجماتية «فأنا مثل «جيمس» و«نيبور» وإلى حد ما «دوبواس»، أومن بتصوّر ديني للبراجماتية⁽⁷⁾».

إذا ما كان للبراجماتية الرسولية أن تُصبح أكثر من مجرد موضوع للجدل في الدوائر الثقافية، وأن تكون موضوعاً خارج نطاق «الأكاديمية»، فإن عليها أن تُلهم حركة اجتماعية تقدمية رسولية. وأحد الشروط المسبقة والضرورية لهذا النوع من الحركة الاجتماعية هو انبثاق ممارسات دينية رسولية قوية في الكنيس والكنائس والعباد والمساجد. ومع التسليم بمثل هذه الممارسات في الماضي الأمريكي فإن الحفر المحتمل للحركة الاجتماعية سيكون في الجناح الرسولي للكنيسة السوداء. فهل نحن بحاجة إلى تذكير أنفسنا بأن أكثر المفكرين دلالةً ونجاحاً في أمريكا في القرن العشرين، وربما في التاريخ الأمريكي، كان نتاجاً للجناح الرسولي للكنيسة السوداء، وفي الوقت نفسه، قائداً وزعيماً⁽⁸⁾.

وليس هناك شك في أنّ الزعيم الذي في ذهن كورنل ويست هو «مارتن لوثر كينج» Martin Luther King ولهذا دلالتة، ما دام كورنل ويست في كل فقرة تالية كان يُشير إلى «كينج» لكي يُدعم اعتقاده بأن «الجناح الرسولي للكنيسة السوداء» يُمكنه تحويل «البراجماتية الرسولية» إلى قوة سياسية قادرة على إلهام «الحركة الاجتماعية التقدمية». فويست يؤكد هنا على «أن الحركة الاجتماعية التي قادها «كينج» إنما تقدم أفضل ما يُمكن أن يقدمه البُعد السياسي للبراجماتية الرسولية على الإطلاق⁽⁹⁾».

وبالرغم من أن ويست يعترف بأن «كينج» لم يكن برجماتياً رسولياً، إلا أنه يستخدمه كنموذج لتدعيم وجهة نظره التي يرى فيها «أن البراجماتية الرسولية يمكن أن يتوّقع منها أن تكون قوة سياسية فعالة تدعم الزعامة التي تنبثق من الكنيسة السوداء وتعزّزها».

«لقد كان (يقصد كينج) رسولاً، بالدور الذي ساهم به بقوة وبعزم في المشروع السياسي للبراجماتية الرسولية. فإن رؤيته الأخلاقية الشاملة قد بشرت التحالفات والاتحادات بين صفوف المناهضين للعنصر والجنس والطبقة والدين... فإن منهجته «الغاندي» في المقاومة السلمية غير العنيفة دعمت صور الحب والشجاعة والنظام، وهي الصفات الجديرة بالرسول المتحمس... فقد شدّد كينج على ضرورة أن يكون للجمتمع أميناً وحريراً على مُثله الأصلية الخاصة بالحرية والمساواة والديمقراطية وقد أكّد على

تلميذه الأثير كورنل ويست فتراه يقول: «إننا إذا أخذنا البراجماتية بمعناها الحرفي فإن مصطلح الرسولي، أعني البراجماتية الرسولية سيكون «نشاذاً»، كما سيكون، في الوقت نفسه، هراءً جدّاً⁽¹⁾».

ولم يكن «رينشارد روتي» فقط هو الذي انتقد هذا المصطلح في علاقته ببراجماتية كورنل ويست وإنما نجد روزماري كوارن Rosemary Cowan في كتابها عن كورنل «كورنل ويست: سياسة الخلاص» Cornel West: Politics of Redemption تصف هذا المصطلح بأنه مصطلح «مراوغ» إلى حدٍ بعيدٍ كما أنه غير محدد وفضفاض⁽²⁾. فالمصطلح يحمل «ظلالاً كثيفةً ودلالاتٍ إنجيليةً عميقةً»، فترسلُ العهد القديم توعدوا، بالنداء الإلهي، القصور والنقص للوجود في مجتمعهم، وحثوا الناس على العودة إلى الإيمان «الخالص» والإخلاص «الصادق»⁽³⁾.

البُعد الديني للبراجماتية الرسولية

بالرغم من العلاقة الوثيقة بين تصور كورنل ويست للبراجماتية الرسولية والدين إلا أننا لا نجد لديه عرضاً وافياً لهذه العلاقة في كتابه «المراوعة الأمريكية للفلسفة» برغم إشارة كورنل ويست إلى استخدام «رينهولد نيبو» للتناول الديني لدى «وليم جيمس» William James وتناول كورنل ويست نفسه للأنثروبولوجيا اللاهوتية لدى «نيبور»، فقد عرض ويست لهذه العلاقة على نحوٍ «سابق» و«لاحق» لعرضه لموضوع هذه البراجماتية والفلاسفة الذين يؤلفون موضوع الكتاب. ففي مقدمة كتابه عن «المراوعة الأمريكية للفلسفة» يُشير ويست إلى أعماله السابقة عليه وهي: Prophesy Deliverance : An Afro-American Revolutionary Christianity (1982) «الخطاب الرسولي : مسيحية ثورية أمريكية إفريقية»، وأيضاً كتابه عن Fragments : illuminations of the crisis in American Religion and culture (1988) «شذرات رسولية : إيضاحات تتعلق بأزمة الدين والثقافة في أمريكا»؛ وهو يحاول في هذه المؤلفات، تأسيس إمكانية المقاومة التي تتميز بها المسيحية الرسولية وأيضاً تأكيد ارتباطه بلاهوت التحرير⁽⁴⁾. وعند نهاية الكتاب يكشف ويست عن الجذور المسيحية لمنظوره الفلسفي⁽⁵⁾، فالدين يُنظر إليه هنا على أنه «قوة فعالة» تقف وراء كل مشروعه الفلسفي وفي توضيحه للخلفية الدينية لتناوله البراجماتي نراه يؤكد على ما يلي:

«إن تناولي الخاص بالبراجماتية الرسولية يتأسس ويتكون في أحضان التقليد المسيحي... فأنا متدينٌ ليس فيما يتعلق بالأهداف السياسية فحسب، وإنما أيضاً بالالتزام الشخصي والذاتي... فأنا

(1) Rorty, *The Professor and the Prophet*. Yransition, 52 1991 P.70-78 .

(2) Cowan, Resemary, *Cornel West the Politics of Redemption* (Blackwell publishers LTD 2003), p. 4.

(3) Cowan, Resemary, *Ibid*, p. 5.

(4) West, *Evasion*, p. 7.

(5) West, *Ibid*, p. 232-234.

(6) West, *Ibid*, p. 233.

(7) West, *Ibid*, p. 233.

(8) West, *Ibid*, p. 234-235.

(9) West, *Ibid*, p. 234-235.

الرسولية؟ لا شك في أن الإجابة الأقرب إلى الصواب هي بالنفي. ولعلنا لا نحتاج الصواب لو قلنا: «إن ويست قد ترك التساؤلات الأساسية التي تتعلق بالإستراتيجية والتمكين وأدوات هذا التمكين دون تعريف؛ ولذلك فقد ظَهَرَ في كثير من الأحيان على أنها شعارات في معركة انتخابية. فمن الصعب أن نتبين كيف يمكن لويست أن يقدم شيئاً غير شعارات عامة تأتي مجردة من كل تحديد أو تعيين وذلك فيما يتعلق بالرسالة التي يريد توصيلها إلى حركات سياسية بعينها... فهل كان بإمكانه أن يكون أكثر تحديداً وتعييناً؟ إن الإجابة على هذا السؤال هي بالنفي. أعني أنه ليس من الواضح أنه كان بإمكانه أن يتحدث على نحو أكثر فعالية وتأثيراً إلى جماعات بعينها دون أن يتورط في استبعاد غيرها. فكما يعرف ويست جيداً، وربما أكثر من غيره، أن سياسات «العنصر والطبقة والجنس» هي سياسات غالباً ما يناقض بعضها البعض الآخر.

وهكذا، فبالرغم من أن الأساس الأخلاقي الرفيع والمثالي الذي تبناه ويست والتزم به، فإن «براجماتيته الرسولية»، يمكن وصفها بأنها «براجماتية بلا نتائج أو ثمار» Pragmatism without consequences هذا إذا جاز لنا استخدام عنوان كتاب الفيلسوف الأثير لديه، أعني «ريتشارد روتري».

المحور الثاني: مفهوم «ويست» للديمقراطية

يتحدث كورنل ويست عن الديمقراطية في كل أعماله، ولكنه كرس لهذا المفهوم كتاباً بأكمله وجعل له عنواناً فرعياً يدل دلالة عميقة على ما يستهدفه، وهو «الفوز في الحرب ضد الاستعمار» وفي هذا الكتاب نجد أستاذ عقيدة ومحطاً للأدب والفن الذي يتسم بأنه «تراجيكوميدي» في آني معاً، يتخذ موقفاً من الديمقراطية ويخضع هذا المفهوم للأدبيات ذات الطبيعة الدينية. وقد استهدف ويست من حديثه عن «الديمقراطية»، هذا المفهوم الذي لاقى فيه -فيما أرى- ويست عنثاً وتشويهاً بلا حدود، ليقدّم تفسيراً جديداً وصياغةً جديدةً من خلال تصوّره عن:

1. الرسولي prophetic tradition التقليدي.
2. التصور التراجيكوميدي الروماني للأمل المظلم وما يمكن أن نصقه بالكوميديا السوداء، وهو التصور الذي اعتقد ويست أنه سيكون مُعيّناً في إبراء المجتمع الأمريكي من آفاته.
- ويرى كورنل ويست، في البداية، أن الديمقراطية الأمريكية تُعاني «ثلاث عقائد عدمية» مضادة للديمقراطية وهي:

1. أصولية السوق الحر Free Market Fundamentalism وتُعني النظام السياسي والاقتصادي والمُتَّجِد والمتأثرات هذا النظام على الثقافة العامة وعلى النظرة المادية والنمط الاستهلاكي وعبادة الثروة والجشع.

2. العسكرية العدوانية Aggressive Militarism ويرى ويست أن الدوافع الاستعمارية ومذهب الحرب الاستباقية هي

النتائج التي يمكن أن تنتج عن أخذ هذه المُثُل وهذه القيم مأخذ الجد مثل «اللاعنصرية» و«اللااستعمارية» وربط بذلك بين النضال من أجل الحرية، ليس في أمريكا فحسب وإنما في العالم بأسره⁽¹⁾.

يتضح لنا من هذه الفقرة أن ويست يُرَوِّج لشخصية «كينج» بهدف استهواء قرائه وإقناعهم بأن «روح البرجماتية الرسولية» يمكن أن تكون قوة سياسية فعالة تستنهض هذا النضال في المستقبل. وهنا يبدو كورنل ويست على قناعةٍ بأنه بالرغم من أن كينج لم يكن «براجماتياً رسولياً» فإن بإمكان برجماتيين رسوليين يخرجون من عبادة الكنيسة السوداء أن يساهموا على نحوٍ فعّال في المشروع السياسي للبرجماتية الرسولية وذلك عن طريق التآتي بكينج، أعني صياغة «رؤية أخلاقية شاملة» صياغة محكمة وبعيدة عن أن تكون مجرد شعار أجوف وإنما رؤية تبرهن على أنها «فعّالة» كوسيلةٍ لتحفيز الحركة الاجتماعية والتحرير على غيرها، قابلة لأن تنتقل إلى «تنظيم الحلفاء السياسيين» بحيث تستوعب كل الموضوعات الخاصة بالجنس والعنصر والطبقة. وقد أكّد ويست هذه الفكرة، وذلك بإعادة الإشارة في لغة البرجماتية الرسولية إلى مضمون رؤية «كينج»، أعني «الرؤية الأخلاقية الشاملة» فراه يقول «إن البرجماتية الرسولية لا تقدّس أية أيديولوجيات، وهي تُدين كل صور القهر والاستعباد في كل مكانٍ وكل زمانٍ، وعلى هذا النحو، فإن المُثُل الثمينة للفردية والديمقراطية الخاصة بالبرجماتية الرسولية تناهض كل بنايات القوة ومؤسّساتها التي تفتقر إلى المسؤولية العامة... كما أنّ البرجماتية الرسولية لا تُقيد نفسها بأي عوامل تاريخية جاهزة مسبقاً... وإنما بالأحرى تدعو كل أصحاب الإرادة الطيبة الخيرة في أمريكا وخارجها للدفاع عن الثقافة التي تدعم الديمقراطية الخلاقة التي يتم فيها تخفيف الآم للعدّيين في الأرض⁽²⁾».

وقبل أن نترك هذا المحور الذي تناولنا فيه «برجماتية ويست» نقدم ملاحظة منهجية تنصّورها ضرورة؛ يقول ويست في الصفحات الأخيرة من الكتاب: «إن هدي النهائي من تأليف هذا الكتاب هو تطوير، وتعميق صوت برجماتي رسولي بحيث يكون قوة مادية تمتلك التأثير، وقادرة على صنّج اختلاف في العالم⁽³⁾».

ومع ذلك فإن هذا الطموح يظل مجرد شعارٍ لسبب بسيط وهو أن هذا «النداء» الذي أطلقه ويست يتحدث إلى «كثيرين متباينين»، ومن ثمّ فهو صوت لا يمكنه أن يتحدث وعلى نحوٍ فعّال إلى «شخصي بعينه» أو «جماعة بذاتها». وما يؤكد هذا الرأي ما قاله ويست نفسه: «من الممكن أن تكون برجماتياً رسولياً، وفي الوقت نفسه، تنتمي إلى حركات سياسية عديدة ومتباينة، مثل الحركات النسوية، والشود، والاشتراكيين، والليبراليين اليساريين⁽⁴⁾». ومن ثمّ فإن السؤال المنهجي الذي يطرح نفسه هنا هو «هل يوجد حركات سياسية غير منسجمة وغير مُؤثّلة مع هذه البرجماتية

(1) West, Ibid, p. 235-240.

(2) West, Ibid, p. 235.

(3) West, Ibid, p. 232.

(4) West, Ibid, p. 231-232.

أيضاً فيما قدّمه «هيرمان ملفيل»⁽⁶⁾ Hermann Melville، من تحذيرات سوداء من السقوط فيما أطلق عليه «التمدّير الذاتي الجواني الكامن» imminent self-destruction، فإذا كان «إمرسون» يحثنا على «خلق الذات وإبداعها» فإن «ملفيل» يحذّرنا من مأرق «تشويه الذات وتدميرها» ومن ثمّ فكلُّ منهما يُعدُّ التّمم للآخر والمكمل له. بالإضافة إلى ما قدّمه «والت وايمان» Walt Whitmann⁽⁷⁾ في قصائده المشحونة بالعواطف الجياشة من أجل «إمكانية الديمقراطية»، كما أنّه موجودٌ وعلى نحوٍ أكثر إلحاحاً وأعمق تأثيراً في الأصوات الرسولية القوية التي دعت إلى النضال الطويل والمرير من أجل «الحرية السوداء» بداية من الدعوات الديمقراطية الفصيحة والبلغية التي قدّمها «فريدريك دوغلاس» Frederick Douglas⁽⁸⁾ إلى العظمت المدنية المؤثرة التي قدّمها الزعيم «مارتن لوثر كينج»⁽⁹⁾ Martin Luther King، ويُضيف ويست إلى هؤلاء شخصيات أخرى مثل «جيمس بالدوين» James Baldwin و«توني موريسون» Toni Morrison، بالإضافة إلى «البلوز» و«الجاز»⁽¹⁰⁾.

فهو يرى أن كل هذه التقاليد كانت تحدّياً للبناءات الخالية والخواوية والعارية من المعنى لمزاعم «التفوق الأبيض». «إن المصادر العقلية والأخلاقية والسياسية والروحية في أمريكا والتي يمكنها تحديد الروح وصيانة مستقبل الديمقراطية الأمريكية، إنما تكمن في هذا التراث الديمقراطي الغني والخصب والذي يتميز بالتنوع العنصرية والثقافية»⁽¹¹⁾.

ويُعبّر ويست عن هدفه بوضوح بقوله: «إنّه تأسيس رؤية ونقيد ديمقراطيّ يتّسمان بالقوة والحيوية، وهما متجدّتان في التقليد الديمقراطي الذي تمثّ صياغته في التجربة الديمقراطية الثمينة كما تتجلّى في «النقد السقراطي» و«الممارسة الرسولية» و«الأمل المظلم» ويضيف «إنّ هذه الرؤية تأخذنا إلى ما وراء العدميين الأمريكيين» American nihilists، كما أنه يؤكد تطلّعاته وآماله إذا ما تحققت هذه الرؤية، فيقول: «إن هذه التقاليد الأربعة التي أشرنا إليها تضع على أمريكا -باعتبارها تجربة ديمقراطية واثقة برغم نواضعها- التزاماً بتعضيد القانون الدولي والمؤسسات الدولية التي تناهض التدابير الاستعمارية والغزوات العسكرية؛ وأيضاً تعزيز المشاركة في الثروة وإيجاد فرص التعاون بين الأمم الفقيرة والغنية، كما يجب تيسير انتقال الثروة إلى الشعوب الفقيرة وذلك عن طريق الاستثمار في الرعاية الصحية والتعليم والعمل والحفاظ على البيئة. وفي ظل هذه الرؤية الديمقراطية فإن كل الأمم وكل الشعوب يُمكنها أن تتنفس بحرية، وتكون مُلهمة لقضايا الديمقراطية إذا ما كانت لديها الشجاعة والرؤية لتنهض بنجاح بهذه المهمة»⁽¹²⁾.

تعبّر عن هذه العسكرية العدوانية، أعني الضربة الاستباقية ضد «عدوٍ محتَمَل» أو «عدوٍ مُتَحَيَّل».

3. التسلّطية المتصاعدة Escalative Authoritarianism وبراها ويست متجدّرة في الخوف غير المرير والجناح الموجه ضد «إرهابيين محتَمَلين» وأيضاً عدم الثقة المفرط والتبادل بين الأفراد والجماعات⁽¹⁾.

ويرى ويست أن مواجهة هذه العقائد العدمية ومن ثمّ تعميق الديمقراطية الأمريكية، تقتضي إحياء ثلاثة تقاليد حيوية، وهي تقاليد يعتقد ويست أنها تستطيع صَحّ فعالية في الطاقات الديمقراطية، وهذه التقاليد هي:

1. التراث اليوناني الخاص بالالتزام السقراطي بالسؤال والفحص، وهو فحص لأنفسنا وللسلطة والعقائد والنزعات الأصولية وضيق الأفق وسطحية التفكير.

2. الاختراع اليهودي للالتزام «الرسولي» prophetic للعدالة؛ العدالة لكل البشر، وهذا ما تمّ صياغته في المخطوطات والتراث العبري وتردّد بقوة في التعاليم الرسولية للمسيحية والإسلام⁽²⁾.

3. الالتزام «التراجيكوميدي» بالأمل. والمقصود به هنا القدرة على الضحك والحفاظ على إحساس للثقة بالحياة؛ أعني أن نتمسك بالأمل حتى في فترات اليأس والفنوط، وأيضاً في مواجهة الكراهية والنفاق والرياء. فالأمل هو القوة التي تُواجه بها السقوط في عدمية اليأس التي تُؤدّي إلى شلل قوّانا وأيضاً دون السقوط في التشاؤم أو نزعة كلبية. ويرى ويست أن هذا «الأمل المضحك المُبكي تم التعبير عنه من خلال الأصوات الحميمية التي عبّر عنها نضال الأمريكيين الشهود من أجل الحرية سواء النضال السياسي أو المساهمة في حركة التحرر السوداء في الفن والأدب»⁽³⁾. وتم التعبير عنه على نحوٍ حادّ ومثير للألم لدى جماعة «البلوز» blues وعلى نحوٍ فيّاض في موسيقى «الجاز» Jazz⁽⁴⁾.

ويُضيف ويست إلى هذه التقاليد الثلاثة تقليداً رابعاً يوضّحه بقوله «إن هناك تقليداً ديمقراطياً عميقاً وأصيلاً في هذا الوطن، وهو تقليد يتحدّى العدمية والاستخدام السيئ للقوة، كما يمكنه إحياء الديمقراطية الأصيلة وتدعيمها في مواجهة النزعات الاستعمارية، وهذا الحافز الديمقراطي الأصيل يتمثّل في النداءات الهادئة والداعية إلى «إبداع الذات الخيالي» imaginative self-creation الذي تجذّه لدى «رالف والدو إمرسون» Emerson⁽⁵⁾، ونجده

(6) West, *Democracy Matters*, p. 22, 25, 48, 49.

(7) West, *Democracy Matters*, p. 22, 67, 77,

(8) West, *Democracy Matters*, p. 22, 73, 92.

(9) West, *Ibid*, p. 19, 22, 62.

(10) West, *Democracy Matters*, p. 16, 19, 22.

(11) West, *Democracy Matters*, p. 22.

(12) West, *Ibid*, p. 61-62.

(1) West, *Democracy Matters: Winning the Fight against imperialism* [New York], Penguin Press, 204], p. 4.

(2) West, *Ibid*, p. 5.

(3) West, *Ibid*, p. 16, 216, 218.

(4) West, *Ibid*.

(5) West, *Ibid*, p. 22, 49, 67, 68.

West, Cornel. *West Reader*, p. 566, 53.

اليأس والألم التي شكّتها الشعب للمقهور». «وهذا الحزن العميق والضميم والجأ بالشكوى كان موجّهاً ضد الإمبراطورية المصرية⁽⁴⁾ وقد استمّغ الرب لصرخاتهم وتأثّر بدموعهم وآلامهم لأن الله هو وقبل كل شيء للمحب للعدالة». Psalm 99: 4 and 37:28 Isaiah. 61:8، وأعلن الإله اليهودي «لقد سمعت، بالتأكيد، صرخاتهم.. ولذلك فأنا متعاطفٌ معهم ومؤيّد لهم». Exodus 22, 23, 27.

إن الرحمة الإلهية تحقّز الحب الإلهي للعدل، كما أن «التعاطف الإنساني يحفز الحب الرسولي للعدل، فاللغة الرسولية هي لغة البكاء والدموع وذلك لأن الجروح الإنسانية والبؤس الإنساني يحفران رؤى العدل وأعمال الرحمة والخُؤ⁽⁵⁾». فالتقليد الرسولي، أعني: بكاء وعويل ودموع الشعب للمقهور، تُقدّم بديلاً للقهر وتقدّم رمزاً للولاء لله الذي يدعو إلى الأعمال الإنسانية التي تُقدّر هذه الصرخات وهذه الدموع⁽⁶⁾.

وقد جعلت المسيحية التي انبثقت عن اليهودية لغة الصراخ والبكاء سبيلاً للحياة والنضال في العالم. ويؤكد ويست هذا المعنى بقوله «إن فلسفي في الديمقراطية قد تشكّلت على نحوٍ أساسيٍّ ومحوريٍّ بهذا اليهودي المسمى عيسى الذي وضع حب الله وحب الجار في قلب رؤيته للعدالة وأفعاله الخاصة بالرحمة والخُؤ والشفقة»، «فإن رؤيته للمستقبل العادل كانت العزاء والسلوى لهؤلاء الذين يتألون ويُعانون. وكانت أفعاله التي تنسم بالرحمة والحنو راحةً وسكينةً لقلوب الذين يذرفون الدموع». «فإن حُبّه للرحمة والخُؤ، وموته بيد النخبة الاستعمارية العدمية حقّز الحب الإلهي والعدالة في قلوب البشر⁽⁷⁾».

إن ويست مثل أي شخص عميق التدبُّن لديه بالضرورة اعتقاداً راسخاً بأن الخلاص الإنساني النهائي هو شأنٌ يرتبط بالعالم الآخر، ويُؤمن أيضاً بأن محاولة تأسيس «الديمقراطية الأصلية» على الأرض هي محاولةٌ مصيرها، في النهاية، الإخفاق. فما الذي ينبغي عليه أن يُؤدبه في هذا العالم؟ أن يمنح الديمقراطية الأصلية محاولةً حتى لو كانت واهنةً؛ فلو قدّر لهذه المحاولة النجاح فالشكر للرب، وأما إذا أخفقت فيإمكانه اللجوء إلى النشوة المظلمة Dark Joy وذلك بالاعتقاد بأنه قد قام بالمحاولة، وأنه أعلن الحقيقة على نحوٍ صريح، كما أنه فكّر بحزيرةٍ كاملةٍ وعبر بقوةٍ عن حُبّه وتعاطفه مع المضطهدين والمقهورين في العالم وأنه دعم قضية العدالة. وبإمكانه أن يُقدم لنفسه العزاء بتذكُّر أنّ كل شيء سيكون على نحوٍ أفضل في العالم الآخر حيث يجد هناك «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». وأما إذا أُخبر على التوقف عن النضال فيإمكانه أن يحيا الوجود للغرب الضاحك الباكي، ويجد السلوى لدى البلوز Blues وموسيقى الجاز Jazz وصوت توني موريسون Toni Morrison كما يمكنه الإبقاء على «أمله للمظلم⁽⁸⁾».

وهكذا يُمكننا القول إن هذه التقاليد تمنح فيما يري ويست الأمل في إنعاش طاقات أمريكا الديمقراطية ليس فقط بمواجهة القوى العابثة المفرطة والتي لا مبرر لها وإنما أيضاً بإنعاش وتعزيز ما أُطلق عليه ويست والالتزامات الأخلاقية والرؤى الأخلاقية وتعينات الروح وحمائتها⁽⁹⁾.

ويُمكننا هنا أن نلاحظ، نفس الملاحظة التي قدمناها عندما تناولنا «البراجماتية الرسولية»؛ وأعني بها أن ويست لم يقدم لنا ما يعنيه بالديمقراطية، فلم يقدّم لنا تعريفاً نظرياً لهذا المفهوم الذي قلنا في بداية حديثنا إنّه عانى عنثاً وتشويهاً، فكل ما أشار إليه أن الديمقراطية ينبغي أن تركز جهدها لقضية العدالة الاجتماعية، بمعنى تقليص صور التفاوت بين المواطنين كما ينبغي أن تستهدف سياسات عادلة، وأن تتجنب الوقوع في فخ التسلطية وأن تتحاشى التواطؤ في ممارسات عدوانية في تعاملها مع أقلياتها العنصرية والعرقية والدينية، كما تعزف عن الغامرات العسكرية في الخارج، ومن ثم يُمكننا أن نطرح نفس السؤال الذي كنا قد طرحناه عند تناول البراجماتية الرسولية وهو: «هل يوجد حركات سياسية غير منشخة وغير مؤثّفة مع هذا التصور للديمقراطية؟ لا شك في الإجابة على هذا السؤال ستكون أيضاً بالنفي.

ولكن بالرغم من ذلك يمكن أن نجد لديه بعض إشارات تُوضح ما يعنيه بهذه الديمقراطية... «إن الديمقراطية دوماً حركة تقوم بها الجماهير المتحمسة لجعل ممثلي النخبة والصفوة على قدر المسؤولية. فالديمقراطية في جوهرها تعبيرٌ عن إمكانية استعادة المرء لقوّته في مواجهة سوء استخدام هذه النخبة للقوة... والديمقراطية بهذا المعنى تُعدّ ممارسةً أو فعلاً أكثر من كونها اسماً. فهي، بالأحرى سعيٌّ دائمٌ وحيويٌّ وحركةٌ جمعيّةٌ أكثر من كونها نظامٌ ساكنٌ أو وضعٌ راهنٌ... فالديمقراطية ليست، وكما تعوّدنا أن ننظر إليها، مجرد نظام حكم، وإنما هي نمطٌ ثقافيٌّ للحياة والوجود. وهذا ما علّمنا إيّاه الديمقراطيون العظماء⁽²⁾».

ولذلك نرى ويست يُحدّثنا من أنه «لا ينبغي أن نُضللّ بالدعاوى الساذجة التي تخدم الذات والخاصة بالالتزام بالتمكين للديمقراطية، وهي الدعاوى التي صاحبته إشارات عظيمة تتعلق بالالتزام بنشر الديمقراطية، وكأن الديمقراطية سلعةٌ أو شيءٌ يمكن قرضه من الخارج دون اللجوء إلى القوة المفرطة والمصحوبة بدوافع مشكوك فيها... إن هذا لا يُعبر عن الصوت الصادق الأمين للتقليد الديمقراطي الأمريكي إنما يُعبر عن التقليد الاستعماري الأمريكي⁽³⁾».

البُعد الديني في ديمقراطية ويست

يبدأ ويست مناقشته لهذا البُعد الديني مستشهداً بمعاني بعض العبارات من العهد القديم التي تؤيد وجهة نظره مثل قوله «إن الاختراع اليهودي للنبيوة قد بدأ مع صرخات الاستعانة ودموع

(4)West, Ibid, p. 214.

(5)West, Ibid, p. 214.

(6)West, Ibid, p. 214.

(7)West, Ibid, p. 215.

(8)West, Ibid, p. 16:19.22.

(1) West, Ibid, p. 61-62, 63.

(2)West, Ibid, p. 68.

(3)West, Ibid, p. 104.

والاستقلالية⁽⁵⁾، بالإضافة إلى أن خبرة التحويل conversion أدت إلى تأكيد روح الديمقراطية وروح المساواة أمام الله والتي تشتمل على العبيد الأفارقة⁽⁶⁾، فخبرة التحوّل كانت استهلالاً لصورة ما للعلاقة الشخصية الحميمة مع الله، وهي الصورة التي وهّبت العبيد هويةً ذاتيةً وتقديرًا ذاتيًا في مقابل الأدوار المفروضة عليهم من قِبَل المجتمع الأمريكي⁽⁷⁾.

ويتبع ويست في الفصل الذي جعل عنوانه «جينولوجيا العنصرية الحديثة» Geneology of Modern Racism في الكتاب المُشار إليه، التاريخ القدر والخسيس وكيف حاول دارسون تقديم دليل علميٍّ مزعومٍ يتضمن رسوماً فسيولوجية للأفارقة تبرهن من وجهة نظرهم على «دونيتهم العقلية والذهنية مقارنةً بالأوروبيين ومن هم من سلالة أوروبية، ويستشهد بأعمال وينكلمان J. J. Winckelmann الذي جعل مثال الجمال اليوناني للعباز الذي ينبغي استخدامه عند تقييم الجمال الإنساني، وأيضاً عمل فرانسو برنيير Francois Bernier وكارولوس لنينوس Carolous Linnaeus الذي أدّى إلى التقنين العلمي لأنماط العنصرية، ويُشير ويست إلى مونتسكيو وفولتير وهيوم وجيفرسون باعتبار أنهم ساعدوا في ترويح الظن بأن «الأفارقة أدنى من الأوروبيين»⁽⁸⁾.

ولكن ويست يُشير إلى أنّ هذه الأنواع من الأفكار التي تتعلق بدونية «الشعب الأسود» مقارنةً بـ«الشعب الأبيض» لم تفض بلا رَدٍّ من جانب «الشعب الأسود». وقد أشار ويست إلى «أربع استجاباتٍ تقليدية» على هذه الأفكار العنصرية، وهي تُعبّر عن بناءات نظرية theoretical constructs أو أنماط مثالية ideal types، ومن ثمّ يندُر أن تخذت في صورةٍ خالصةٍ. ويستهدف ويست أن يعمل كل نمطٍ من هذه الاستجابات كأداة مساعدة يمكن للمرء أن يُقدم بها وعلى نحوٍ معقول «العقلانية الجوانية» internal rationality التي تتّسم بها الشُّبُل التي استجاب بها الشُّود لمشكلة العنصرية خلال التاريخ الأمريكي الإفريقي⁽⁹⁾. ويؤكّد ويست على أن كل استجابة تتضمن عناصر تم تجرئها من الواقع الأمريكي الإفريقي، كما تتضمن أيضاً تقاليد «أمريكية إفريقية» متميزة تتعلق بالفكر والعمل، كما أنها مستخلّصة من الفحص التجريبي للواقع الأمريكي الإفريقي⁽¹⁰⁾.

والاستجابات الأربعة هي:

1. الاستثنائية أو «الاستبعادية» Exceptionalist.
2. الاستيعابية «التمثلية» Assimilationalist.
3. الهامشية «أو الحدية» Marginalist.
4. الإنسانية hamanist.

ويُنهي ويست كتابته بعبارة التي يقول فيها: «إننا إذا فقدنا تجربتنا الديمقراطية الأصيلة والغزيرة فإن علينا أن نبتسم ونبتهج لأنّ بذور الديمقراطية سوف تنمو وتزدهر من جديدٍ في مكانٍ آخر وعلى نحوٍ ما، وعلينا أن نتذكر دومًا مجهوداتنا العظيمة الخلّقة في سبيل هذه الديمقراطية⁽¹⁾».

المحور الثالث: العنصرية والعدمية السوداء

لكي نفهم السياق الذي يكتُب فيه ويست، في هذا الموضوع، علينا أن نضع في اعتبارنا الطبيعة المتعددة الطبقات لموقفه السياقي. فعلى سبيل المثال، يبدو ويست وكأنه مهمومٌ بتعيين «مشكلات الأمريكيان الأفارقة» اليوم، وكما أنّه مهمومٌ بتعيين «مشكلات العبودية والعنصرية» وأيضاً بتحديد آلام الطبقة الوسطى والطبقة العاملة لكل الأمريكيان من كل الطوائف، وهو مهتمٌ، على وجه الخصوص، بما أسماه «التهديد العدمي» nihilistic threat ومع ذلك، فإن المشكلة التي تتعلق بكيفية ظهور العنصرية والاتجاهات العنصرية على مسرح الأحداث تُعدُّ أمرًا حيويًا للفهم الصحيح للسياق الذي يتحرك فيه ويست كما أن لها نفس القدر من الأهمية لفهم برنامجه الأخلاقي؛ فواحدة من المشكلات المحورية ذات الاهتمام الأخلاقي، بالنسبة إليه، هي مشكلة الصورة الذاتية للأمريكي الإفريقي self-image. ففي كتابه «الخطاب الرسولوي» Prophecy Deliverance 1982 يقرر «أن التحدين الأساسيين اللذين يواجهان الأمريكيان الأفارقة هما: الصورة الذاتية، وتقرير المصير Self-determination». وكما أشار ويست إلى أن صورة الذات تُعبر عن محاولة إنسانية خالدة لتحديد قضية الهوية الذاتية self-identity، ومن المهم أن نعي أن «الأمريكيان الأفارقة قد استنفدوا وقتًا طويلاً في معالجة مشكلة الصورة الذاتية⁽²⁾».

ويرى ويست أن هذا هو المنهج الصحيح للفهم المعاصر لمفهوم العبودية؛ فكما حدث مع العبيد الذين جُلبوا لأمريكا من إفريقيا، فإن الأمريكيان الأفارقة تم الدفع بهم في بيئة حيث كانت أمريكا ذاتها تناضل من أجل القضاء على «هويتها الأورّبية»؛ ففي خلال ما وصفه ويست بالعصر الكولونيالي المحلي للثقافة الأمريكية على وجه الخصوص، فإن الأمريكيان الأفارقة وجدوا أنفسهم في موقفٍ يتم فيه انتزاعهم وسلبهم على نحوٍ منظمٍ من تراثهم الإفريقي، وفي الوقت نفسه كان يتم إقصاؤهم عن قضيتهم من الثقافة الأمريكية التي تمتد بجذورها في الحداثة الأورّبية⁽³⁾.

وفي أثناء فترة «ما بعد الكولونيالية»، وعندما كانت أمريكا تسعى جاهدةً للانفصال عن أوروبا، تحوّل عددٌ كبيرٌ من الأمريكيان الأفارقة إلى المسيحية. وقد مثّل ذلك ما وصفه ويست بأنه «الانشقاق الديني عن الثقافة الدينية الأمريكية»⁽⁴⁾. فالرؤية الإنجيلية تؤكّد الخبرة الذاتية والفردية والمساواة أمام الله،

(5) West, Ibid, p. 35.

(6) West, Ibid, p. 35.

(7) West, Ibid, p. 35-36.

(8) West, Ibid, p. 61-63.

(9) West, Ibid, p. 70.

(10) West, Ibid, p. 70.

(1) West, *Democracy Matters*, p. 218.

(2) West, *Prophecy Deliverance*, p. 22.

(3) West, Ibid, p. 31.

(4) West, Ibid, p. 35.

وذلك فيما يتعلق بالحاضر، وآمال ثقيلة مؤلة تتعلق بالمستقبل⁽⁷⁾.

(1) الاستجابة الاستثنائية

(2) الاستجابة التمثيلية «الامتصاصية»

وخلالًا للاستجابة الاستثنائية؛ تنظر هذه الاستجابة إلى الثقافة والشخصية الأمريكية الإفريقية على أنها ظاهرة مرضية pathological، كما أنها ترفض أية فكرة تزعم وجود ثقافة أمريكية إفريقية مستقلة تنهض بذاتها دون أن تكون بحاجة لثقافة أخرى غيرها. ولا تتوقف هذه الاستجابة عند هذا الحد وإنما «تؤكد على عدم قدرة الأمريكيان الأفارقة وعجزهم عن خلق أدوات ناجحة فعالة لإزالة الضغوط الكثيرة التي سببها الظروف الرهيبة والكثيبي التي واجهتهم»، وليس هذا فقط، وإنما تأخذ هذه الاستجابة بوجهة النظر التي ترى «أن الأمريكيان الأفارقة في مرتبة أدنى من الشعوب البيضاء»⁽⁸⁾.

وتنقسم هذه الاستجابة إلى قوية وضعيفة... وتقدم الاستجابة القوية حججًا أنطولوجية تتعلق بدونية الأمريكيان الأفارقة، فهم يحتلون مرتبة أدنى من الجماعات الأخرى وذلك بسبب تكوينهم الأصلي والرفض الإلهي لهم وعجزهم الفطري، بينما تقدم الاستجابة الضعيفة حججًا اجتماعية تتعلق بدونية أو عقدة النقص لدى الأمريكيان الأفارقة؛ وتعني أنهم يفعلون في مرتبة أدنى من الجماعات الأخرى وذلك بسبب قيم معيثة وأنماط من السلوك أو مظاهر القصور التي اكتسبها هؤلاء جزاء قهرهم السياسي الطويل والتدني الاجتماعي والاستقلال الاقتصادي⁽⁹⁾.

والجدير بالذكر أن ويست لم يقدم لنا أمثلةً لمفكرين أخذوا بهذه الاستجابة ولكنه اكتفى هنا بالإشارة إلى فرانكلين فريزر Franklin Fraizer الذي كتب عن الثقافة الأمريكية الإفريقية بصورة تسييس بالذم والاستخفاف في كتابه «الكنيسة الزنجية في أمريكا» The Negro church in America 1974 فهو يؤكد، كما يزعم ويست أن الأمريكيان الأفارقة استبقوا القليل، أو أنهم حتى لم يستبقوا شيئًا من ميراثهم الثقافي الإفريقي، ولكنهم استبقوا كل آثار مآسي القهر والذل والعبودية⁽¹⁰⁾.

(3) الاستجابة الحديدية (أو الهامشية)

وتؤكد هذه الاستجابة على «فمع الفردية، وغرابة الأطوار وانحراف المزاج وعدم التكيف، وانعدام الانسجام، أعني الانتشاق والجنوح داخل الثقافة الأمريكية الإفريقية⁽¹¹⁾». ويصف ويست هذه الاستجابة بأنها «طفيلية» Parasitic من حيث اعتمادها إما على الاستجابة الاستيعابية أو الاستجابة الإنسانية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الاستجابة تستوعب تمرّدًا فرديًا منطرقًا من جانب الأمريكيان الأفارقة المهتمين أو من هؤلاء الموجودين على «حافة»

وهي استجابة تؤكد على تميز الثقافة والشخصية الأمريكية الإفريقية وتفردتها كافيًا عن باقي الإنسانية وخاصة الأمريكيان ذوي البشرة البيضاء⁽¹⁾. فالأمريكان الأفارقة يتميزون بأنهم «أكثر إنسانية وأكثر حلمًا ووداعة وطيبة وأكثر إبداعًا وأكثر سلامًا من أعضاء الجماعات الأخرى، وهم الأكثر سموًا مقارنةً بالشعوب الأخرى وخاصة الأمريكيان من ذوي البشرة البيضاء»⁽²⁾.

ويرى ويست أن هناك صورتين لهذه الاستثنائية؛ الاستثنائية القوية strong، والاستثنائية الضعيفة weak.

وتقدم الاستثنائية القوية حججًا أنطولوجية ontological تتعلق بغلو وشمو الأمريكيان الأفارقة وتميزهم عن الجماعات الأخرى التي تنتمي لعنصر مختلف، وذلك «بفضل تكوينهم الأصلي وما وهبهم الله من الطيبات والصفات الأصلية والنظرية في تكوينهم»⁽³⁾. ويرى ويست أن من بين الذين دعموا هذه الاستجابة دو بواس Dubios وجيمس ويلدون جونسون James Weldon Johnson والشيخ محمد Elijah Mohammed والمسلمون السود.

وتقدم الاستثنائية الضعيفة حججًا اجتماعية Social تؤكد شمو الأمريكيان الأفارقة بما يتميزون به «من قيم معينة وأنماط متميزة من السلوك أو المواهب والقدرات اكتسبها خلال القهر السياسي الدائم، والتدني في المكانة الاجتماعية والاستقلال الاقتصادي»⁽⁴⁾. ويمثلها ماركوس جارفي Marcus Garvey الذي «أشاد بالكبرياء والجمال والقوة الإفريقية، وذلك دون أن يزعم تدني الأمريكيان من ذوي البشرة البيضاء»⁽⁵⁾. ولكن ويست يرى أن مارتن لوثر كينج Martin Luther King هو النموذج المثالي لهذه الاستجابة، وذلك في مذهبه الذي يدعو فيه إلى عدم اللجوء إلى العنف؛ ف«الأمريكان الأفارقة قد اكتسبوا، خلال خبرتهم الطويلة، القدرة على حب أعدائهم والتحمل الواعي للآلام والمعاناة والقسوة، وهي القيم التي يُعلّمون بها الإنسان الأبيض كيف يُحب، وكيف يبرأ من مرضه وآلامه»، ومن ثم يعتقد كينج «إن الله قد استخدم الشعب الأسود لتحقيق مجتمع المحبة»⁽⁶⁾.

ويرى ويست أن مشكلة الاستجابة الاستثنائية في صورتها أنها ترمي صورة للذاتية تتسم بأنها ذات طابع دفاعي، بالإضافة إلى أنها من حيث المضمون تُعدّ رومانسية؛ فهي رد فعل على مذهب شمو العنصر الأبيض، وهي رد فعل يستهدف تأسيس الزهو والكبرياء والقيمة السامية للأمريكي الإفريقي على أساطير «دون كيوخوتية» وهمية تتعلق بالماضي، كما أنها تنزل في توقعات تتسم بالبالغة

(1) West, Ibid, p.70, Yancy, Cornel West, p. 47, 48, 91.

(2) West, *Prophesy Deliverance*, p. 72.

(3) West, Ibid, p. 70.

(4) West, Ibid, p. 70.

(5) West, Ibid, p. 74.

(6) West, Ibid, p. 75.

(7) West, Ibid, p. 75.

(8) West, Ibid, p. 70, 71, 78.

(9) West, Ibid, p. 78, 79.

(10) West, *Prophesy Deliverance*, p. 78.

(11) West, Ibid, p. 80.

السوداء عن خطيئة الانغماس في فئة الممارسات المدقمة للذات⁽⁵⁾. كما يشير إلى الاستجابة السلبية التي يقوم بها بعض الأمريكيين الأفارقة في محاولتهم التعامل مع حياة مثيرة للربح والهلع من حيث تجرّدها من المعنى وخُلُوقها من الأمل. فإن بعض السلوكيات التي تُظهر استجابةً للعيش في مثل هذه الحالة من الوجود على نحوٍ دائم، تتمثل في إحساس المرء بالعدو والعزلة والانفصال عن الأشخاص الآخرين بالإضافة إلى تولّد اتجاه تدمير ذاتي نحو العالم بشكل عام⁽⁶⁾.

ويُعقّب ويست على هذا بقوله «ما الذي يمكن أن نتوقَّعه من شخصي مضطرب رغم أنه أن يحيا حياةً عاديةً من المعنى، والأمل والحب، إلا إذا كان مثل هذا الوجود يُؤلّد رؤية تتسم بقلب ميت وروح كليلة⁽⁷⁾». فالعدو الأكبر لبقاء السود في أمريكا ليس القهر والاستعباد والاستغلال، إنما هو بالأحرى التهديد العدمي... أعني: فقدان الأمل وغياب المعنى؛ فيقدر ما يبقى الأمل «بُصان المعنى وتَمَشُّك به الناس» وتظل إمكانية مواجهة القهر والاستعباد حية قوية: فالدرس المستفاد من التهديد العدمي، يتلخص في أنه «بدون أمل لا يوجد مستقبل وبدون المعنى لا يكون هناك كفاح⁽⁸⁾». وكما لاحظ ويست أنه حتى بداية السبعينيات من القرن العشرين كانت نسبة المنتحرين من الأمريكيين السود الأقل معدّلاً في أمريكا، أما الآن فإن شباب السود يتقدمون الأمة في الانتحار⁽⁹⁾.

فالعدمية هي العدو الأكبر الذي يهدد بقاء السود وحياتهم في أمريكا⁽¹⁰⁾. فويست يشعر بأن «الشعب الأسود» قد فقد تقريباً القدرة على الوقاية من هذا التهديد العدمي؛ فقد «كانت عبقرية أمهاتنا وأبائنا السود تتمثل في أنهم كانوا قادرين على خلقِ دروعٍ قوتيةٍ متينةٍ، وهذه الدروع كانت هي السلاح الثقافي الضروري لمواجهة شياطين اليأس والكرهية والعبث⁽¹¹⁾».

ويرى ويست أن هناك أسباباً كثيرةً هي التي أدّت لأن تحتلّ هذه العدمية تلك المكانة المرموقة في المجتمع الأسود، وهي أسباب تبدأ من مؤامرة التطهير العرقي، إلى انحسار ازدهار توقّعات الشعب الأسود بعد تفاؤل الستينيات من القرن العشرين. ومع ذلك يعتقد ويست بوجود سببين مهمين لفقد الأمريكيين الأفارقة لزمهم الأخلاقي وظهورهم على نحوٍ عاجزٍ في مواجهة هذا التهديد العدمي وهما:

1. تغلغل قوى السوق وأخلاقياته في الحياة السوداء.
2. أزمة القيادة السوداء⁽¹²⁾.

أو «حدّ» الثقافة الأمريكية الإفريقية، كما أنهم يزوّن أنه لن تعود عليهم سوي فائدة قليلة من ذوبانهم في تيار الحياة الأمريكية: فهذه الاستجابة تعبّر عن اتجاهٍ نقديٍّ لكلّ من الثقافة الأمريكية الإفريقية من جهة والمجتمع الأمريكي من جهةٍ أخرى⁽¹⁾.

(4) الاستجابة الإنسانية

وتُوصف أحياناً بالبعد الإنساني الأمريكي الإفريقي. وهي استجابة تُعلي من شأن الثقافة الشخصية الأمريكية الإفريقية، فهي استجابة تُؤكّد على المضمون الإنساني الكلي للصور الثقافية الأمريكية الإفريقية دون التورّط في تقديم حجج أنطولوجية أو اجتماعية تتعلق بسمو أو دونية الأمريكيين الأفارقة، ولكنها، في المقابل، تركّز على أنماط التعبير الثقافية الخلاقة لدى الأمريكيين الأفارقة التي تتضمن عناصر ومكوّناتٍ مماثلة للصور الثقافية الفعالة للجماعات الأخرى العرقية والقومية وغيرها. فهي استجابة تُؤكّد على عضوية الأمريكي الإفريقي في الجنس البشري دون أن تزعم تفرداً وشموّه أو تدنّيه ودونيته. ومن ثمّ فإننا نجد في هذه الاستجابة «الصورة الذاتية للأمريكي الإفريقي»، وهي هنا «ليست صورة السوبرمان الذي لم يُلوّث بخبرة القهر والاستعباد كما أنّها ليست صورة بشر في مرتبة دنيا مجرّدين من ثقافةٍ تدعمهم وتعززهم⁽²⁾».

فهذه الاستجابة، تنظر إلى الأمريكيين الأفارقة على أنّهم يتصفون بالحلم وفي الوقت نفسه يتصفون بالشراسة، ويتصفون بالحنوّ كما يتصفون بالقسوة، ويتصفون بالإبداع ويتصفون أيضاً بفتور الهمة والرتابة والكسل. وبعبارةٍ أخرى تنظر إليهم على أنهم «بشر»، ومن ثم لا تقع هذه الاستجابة في المبالغات، فلا تنظر نظرة «رومانسية» للثقافة الأمريكية الإفريقية ولا تتنكّر لها، وإنما تقبل هذه الثقافة وما أُعدّت له، أعني تعبير عن «مجتمع إنساني مقهور يفرض صورته المتميزة للنظام على عالم من الفوضى والاضطراب، وفي الوقت الذي تُفسر فيه «مأزق المجتمع الأمريكي الإفريقي السياسي» تستبقي «احترامه الذاتي» وتنتشر «أماله الذاتية المستقبلية»⁽³⁾.

وإذا كان ويست يرى أن أفضل نموذج للاستجابة الإنسانية للشعب الأمريكي الإفريقي تتجسد في موسيقاه، فإن من المهم أيضاً أن نضع في اعتبارنا أن ويست يصنف عملاًه الفلسفي على أنه ينتمي إلى هذه الاستجابة الإنسانية في التعامل مع المشكلة الأمريكية الإفريقية⁽⁴⁾.

العدمية السوداء

يُعبّر مصطلح «العدمية» nihilism في ارتباطه بأمريكا

(5) West, *Race Matters*, p. 14.

(6) West, *Race Matters*, p. 14.

(7) West, *Race Matters*, p. 15; Cowan Rosemary, *Cornel West*, p. 128, 134-137.

(8) West, *Race Matters*, p. 15.

(9) West, *Race Matters*, p. 15.

(10) West, *Race Matters*, p. 15.

(11) West, *Ibid*, p. 15.

(12) West, *Race Matters*, p. 16.

(1) West, *Prophesy Deliverance*, p. 80.

(2) West, *Prophesy Deliverance*, p. 84.

(3) West, *Ibid*, p. 85.

(4) West, *Ibid*, p. 85.

هو أعمق: فالعدمية لا تُفهر بالحجج أو التحليلات⁽⁷⁾ «Nihilism is not overcome by arguments or analysis» بل يتم ترويضها وتذجينها بالحب والرعاية، فأى مرضٍ يُصيب النفس يجب التصدي له بإحداث تحوُّلٍ في نفس المرء، وهذا «التحول»⁽⁸⁾ يحدث بفعل «تأكيد المرء لقيمته» وهو تأكيدٌ يتعدَّى على «رعاية الآخرين». ولذلك يؤكد ويست على أن أخلاق الحب ينبغي أن تحتل مركز سياسة التحول⁽⁹⁾.

وهذه الأخلاق تُشير إلى ما هو أكثر من مجرد للشاعر العاطفية أو مجرد الارتباط الوجداني بالآخرين، فهي شئٍ قادر على خَلْقِ نوعٍ من الإحساس بالقوة والفعالية بين الشعب الأمريكي الإفريقي الذي ظلَّ «شعباً يُداس بالتعال ربحاً طويلاً من الزمن»⁽¹⁰⁾. وينتهي ويست إلى أن سياسة التحوُّل تتحقَّق عندما تنجح المؤسسات الديمقراطية في إيجاد كوادٍ من القيادة الجمعيّة، التي تكون قد اكتسبت حبَّ واحترام الآخرين، ويكون أفرادها قد تزهقوا على أنهم «مسؤولون أمام هذه المؤسسات الأخرى»⁽¹¹⁾.

تحوُّل ويست من الهَمِّ الخاص إلى العام

أصدر ويست مع روبرتو أنجر Roberto Unger كتاباً بعنوان «مستقبل التقدمية الأمريكية» the Future of American progressivism في 1998 وتجد ويست في هذا الكتاب ما يزال مهموماً بما يمكن أن نطلق عليه «شَرّ العنصرية» ولكنه، بالإضافة إلى ذلك، فهو مهمومٌ بما يُمكن أن نُطلق عليه تأسيس جُلْفٍ مع أبناء السلالات والأعراق الأخرى لتكوين ما يسمّى «الأغلبية التقدمية المتجاوزة للأعراق»⁽¹²⁾، وهو يؤكِّد هذا المعنى بقوله «إن على التقدّميتين مواجهة التمييز العنصري باعتباره شراً مستطيلاً. وعليهم تجريم حالات التمييز العنصري. وأن علينا في الوقت نفسه أن نعمل على خلق مواقف جديدة في الحياة الأمريكية حيث يكشف من ينتمون إلى عنصرٍ وعملٍ ودراسةٍ مختلفةٍ والذين يعيشون معاً في ذواتهم الإنسانية أوجه التشابه والاختلاف التي تتجاوز التمييزات العنصرية»⁽¹³⁾.

ومن ثمَّ فإن ويست، منذ صدور هذا الكتاب، انتقل من الأجنحة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت تجعل من أولوياتها «القضاء على الرأسمالية» إلى عملية إصلاحاتٍ تستهدف خلق «حراكٍ طبقيٍّ أكبر» وتحقيق «حياة أفضل» لكل الأمريكيين الذين يعيشون في ظل النظام الاقتصادي الموجود⁽¹⁴⁾.

وهذا يعني أن ويست هنا قد تبنّى موقفاً واقعياً عملياً تجاه

وقد أدّى العامل الأول إلى خلق أسلوبٍ مثيرٍ للحياة، وهو أسلوبٌ أدّى إلى تشظي المجتمع المدني الأسود والمؤسسات الثقافية لهذا المجتمع؛ هذه المؤسسات التي كانت من قبل تُقدِّم الدواء الناجح لمقاومة تهديد العدمية⁽¹⁾، كما أدّى إلى خَلْقِ ما يُسمّى بثقافة الاستهلاك، وهي ثقافة يتحول فيها الأفراد إلى موضوعات للذِّة بفعل وسائل الدعاية والإعلام وكل ذلك يأتي مشحوناً بإحباطٍ جنسيةٍ شبقية⁽²⁾.

ويؤدّي هذا بدوره إلى القضاء على قيم الحب والرعاية وخدمة الآخرين كما يؤدّي إلى العجز عن مواجهة مشاعر احتقار الذات وكراهية الذات وهي مشاعر تُساهم بدورها في انتصار العدمية⁽³⁾.

وبالإضافة إلى المشكلة التي تتعلّق بالفرد الذي ينبغي عليه مناهضة التهديد العدمي، يرى ويست أن هناك أزمة قيادة حقيقية في أمريكا، ويُلخِّصها بأنها معركة بين الليبراليين والمحافظين. ولكنّه يرى أن هذا الصراع يخنق الجدل الحقيقي والحيوي الذي ينبغي أن يتصدّر القائمة في اهتمامات الأمريكيين الأفارقة؛ فهو يؤدّي إلى حذف القضية الأساسية التي تواجههم وأعني بها: التهديد العدمي⁽⁴⁾.

ويطرح ويست السؤال الخاص بالدُّور الذي ينبغي على الشُّود النهوض به لمواجهة هذا التهديد العدمي.. وإذا سلّمنا بتشظي مجتمعنا المدني والسوق الذي تتحكّم فيه المشروعات العملاقة بالإضافة إلى التفوق الأبيض، فهل يكون أماننا نحن الشُّود بارقة أملٍ لتحدي هذا التهديد العدمي⁽⁵⁾؟

ويرى ويست أن الحل يُوجد فيما أطلق عليه «سياسة التحول» politics of conversion، ويرى أنه لكي تتحقق هذه السياسة ينبغي وجود أنماط جديدة من القيادة السوداء الجمعيّة، بالإضافة إلى أن هذا التحوُّل يُشير إلى شيءٍ آخر، وهو ضرورة إيمان الشُّود، مرةً أخرى، بوجود أملٍ في المستقبل، وأن هناك حاجةً مُلِحَّةً لإحياء المعنى؛ وهو يقصد معنى في النضال من أجل الحرية الإنسانية والعدالة⁽⁶⁾.

فالعدمية، براها ويست مثل إدمان الكحول والدواء، فهي داءٌ يُصيب النفس. وهو داءٌ لا يُمكنُ الإبراء منه على نحو تامٍّ أو كُليٍّ، كما أنّ هناك دوماً احتمالاً للانتكاس. ولكن هناك في المقابل إمكانية التحول؛ إمكانية للناس لكي يؤمنوا بأن هناك أملاً في المستقبل ومعنى للنضال والكفاح. ولكن هذه إمكانية أو هذه الفرصة لا تتأسس على حُجّةٍ تتعلق بما هي العدالة ومما تتألف، ولا بتحليلٍ لكيف تُمارس العنصرية والطبقية فُغلها، وبالرغم من أهمية هذه الحُجج والتحليلات إلا أن «سياسة التحول» تحتاج لما

(7) West, Ibid, p. 19.

(8) West, Ibid, p. 19.

(9) West, Ibid, p. 19.

(10) West, Ibid, p. 19.

(11) West, Ibid, p. 19.

(12) West, Unger Roberto: The Future of American Progressivism: An Initiative for Political and Economic Reform (Boston, Beacon, 1998), p. 73.

(13) West, Ibid, p. 73.

(14) West, Ibid, p. 93.

(1) West, Race Matters, p. 17.

(2) West, Race Matters, p. 17.

(3) West, Race Matters, p. 17.

(4) West, Race Matters, p. 18.

(5) West, Ibid, p. 18.

(6) West, Ibid, p. 18.

برامج التعليم والرعاية الصحية وتطوير خطط عينية لتضييق الهوة التي تتسع بين الأغنياء والفقراء⁽⁷⁾.

ويُلخّص ويست هذا التحوّل بقوله «إنني مهموم بمواجهة الشّرّ المتفشّي في عالمنا والناج عن الالام الظلمة غير المريرة والبؤس الاجتماعي الذي لا حاجة إليه الذي يسود عالمنا Our world. وبغمرني إصرارًا وعزمًا على اكتشاف المصادر العقلية والوجودية التي تُغذّي وتُنمّي فينا شجاعة الوجود وشجاعة الحب، وشجاعة النضال من أجل الحرية والديمقراطية⁽⁸⁾».

ولعلّ أفضل خاتمة هي عبارة ويست التي يُنهي بها كتابه والتي يقول فيها: «لكي تفهم وطنك، عليك أن تُحبّه، وأن تُحبّ وطنك عليك بمعنى ما، أن تتقبّلّه، وأن تتقبّلَ وطنك كما هو، فإن عليك، مع ذلك، أن تخونه، وأن تتقبّلَ وطنك دون أن تخونه. فإن عليك أن تحبّه لما هو كائن فيه وبئني بإمكانية أن يتحقّق. فأمرّيكما تحتاج اليوم إلى مواطنين يعشقونها بما يكفي لإعادة تخبّلها وإعادة بنائها من جديد⁽⁹⁾».

مشكلات الأمريكيان الأفارقة، مما يُوحى بأنّه يُقرُّ بحتمية النظام الرأسمالي باعتباره أسلوب إنتاج أمريكي وعالي في آنٍ معًا؛ «فإن على التقدّمين، في هذا السياق، تبني وجهة نظرٍ عملية، والتقدم خطوةً خطوةً وبالتدرّج نحو جعل النظام الاقتصادي الأمريكي نظامًا ديمقراطيًا وأيضًا تنشيط الديمقراطية الأمريكية وشخصيتها باعتبارها أداة تحسين وتطوير نوعية حياة كل الأمريكيان⁽¹⁾».

ونجد في هذا الكتاب تحوّلًا نحو خلق مساواةٍ أفضل في الدخل والثروة بين الأمريكيان أقوى من محاولة إلحاق الهزيمة بالنظام الرأسمالي. فهدف ويست هنا هو «تحديد الآلية المؤسّساتية في أمريكا بهدف القضاء على المركزية التي تربط بين الحكومة والمال» وهو يفعل ذلك على أمل «النجاح في توسيع نطاق حقوق العمال «كأداة لزيادة الدخل الذي يعود على الجميع من الدخل القومي⁽²⁾».

وبرى ويست أن تحقيق هذه الأهداف يستلزم التمسك بما يُطلق عليه «ديانة الإمكانية الإنسانية⁽³⁾»، وهي ديانة يصفها بأنها «أمريكية»، وبأمل في استثمار هذه الديانة على مستوى عالمي، ويأتي في مقدمة هذه الأفكار فكرة الأمل العالمي Global Hope، فالأمريكان يضعون الأمل فوق الذاكرة⁽⁴⁾، فقد برهن الأمريكيان على أن لديهم، طوال تاريخهم، أمل، فهم يؤمنون بأن المستقبل يظل مفتوحًا أمام التجديد الوطني والتحوّل الفردي، فقد رفضوا طوال تاريخهم الاعتقاد بأن هناك من يتهمهم في موقفهم، بفتور الهمة والبقاء في الفقر والتواكل والضعف⁽⁵⁾. وهذا الإحساس كان مُلجًا بينهم بحيث أنه يمنح الأفراد والجماعات ليس فقط القوة على مواجهة القوى التي تحول دون أن يحيوا حياةً أكثر اكتمالًا وأكثر حرية، وإنما القضاء على هذه القوى.

فديانة الإمكان الإنسانية تمكّن الناس من الخروج من القاع كما تمكّنهم من اكتساب القوة اللازمة لتشكيل ظروفهم الحالية، ويضيف ويست إلى هذه الديانة، قيمتين يرى أن الأمريكيان تمسكوا بهما على المستويين الفردي والجمعي وهما:

-قيمة التحريب الديمقراطي.

-قيمة الخلق والإبداع والتجديد.

فالتغيّرات التي طرأت على العالم أدت إلى ضرورة تطوير حضارة أكثر ديمقراطية تُحيط «بوسائل جديدة لتنظيم وتعميق الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁶⁾»، وهذه الحاجة هي التي دفعت إلى ظهور هاتين القيمتين، وقد استهدفت ويست منهما التمكين لعدد من الإصلاحات التي تتضمن تحسين حياة الطبقة الوسطى والطبقة العاملة الفقيرة. وإجراء تعديلات في النظام الضريبي وتحسين معاش الأفراد وبرامج التوفير والادّخار وتحسين

(1)West, Ibid, p. 93.

(2)West, Ibid, p. 57.

(3)West, Ibid, p. 7-13.

(4)West, Ibid, p. 44-57.

(5)West, Ibid, p. 57.

(6)West, Ibid, p. 59, 185-186.

(7)West, Unger Roberto, p. 60-75.

(8)West, Unger Roberto, p. 75.

(9)West, Ibid, p. 93.